آفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

تصدر عن دائرة البحث
العلمي والدراسات
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

السنة السادسة ، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون - جمادى الثانية ١٤١٩ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨م

مخطوط الكواكب الدرية وتخميساتها - ٨٥٧ هـ

MANUSCRIPT " AL KAWAKIB AL DURRYA WA TAKHMISATIHA" 857 (A-H)

أبو القاسم عيسى بن ناجي

ودوره في نشر المذهب المالكي

الأستاذ

محمد بن إبراهيم بو زغيبة

تونس

تقديم

ظهر في العهد الحفصي ، وبالتحديد في القرن الثامن الهجري ، أعلام من كبار فقهاء القيروان ، الذين كان لهم دورٌ فعّال في ازدهار الحركة الثقافية في الدولة الحفصية ، من أمثال الشيخ الشبيبي ، والإمام البرزلي، والزعبي ، وابن فندار.. فقامت بهم سوق العلم بالقيروان ، وقصدها الطلبة من أقطار البلاد الإفريقية ، وتأسست فيها المدارس لإيواء الطلبة حول الزوايا.

بهذه العوامل تأثّر مترجَمُنا ابن ناجي ، وبمجموعها تكوّنت فيه الحوافز القوية التي أخرجته إمامًا نادر المثال من أئمة المذهب المالكي[1].

فمن ابن ناجي هذا وكيف نشأ وتعلّم ؟

اسمه ونسبه ونشأته

اتفقت كلمة المترجمين له أنّ اسمه أبو القاسم باستثناء أحمد بابا التنبكتي فإنّه ذكره باسم القاسم[2]. وأثبت الكنّاني كلمة الجمهور بوثيقة مؤرّخة في ربيع الثاني ٨٣٩هـ[3]. فهو أبو الفضل، أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنّوخي القيرواني، أصل عائلته من تنّوخ إحدى القبائل العربية الوافدة في جيش الفتح[4]، ولد بالقيروان سنة ٧٦٠هـ = ١٣٥٩م[5]. أيام العزّ الحفصي، من أسرة فقيرة.

لم يعش ابن ناجي يتيمًا كما ذكر صاحب تراجم المؤلفين التونسيين[6]، وإنّما عاش فقيرًا، وكان والده بنّاءً. والذي يؤكد أنّ ابن ناجي لم يعش يتيمًا ما رواه في شرحه كتاب التفريع من أنّ والده سأل الشيخ الشبيبي بحضرة ابن ناجي، وناقش هذا الأخير شيخه، وقدّم له الجواب طبق المشهور

في المذهب، قال ابن ناجي: «وكان لي من الميعاد سنتين، وكنت أحفظ مختصر ابن الحاجب»(٧).

فالظاهر أنّ والده لم يكن من أهل العلم، أما أمه فيبدو أنّها كانت متعلّمة؛ لأنه كثيرًا ما كان يستشهد بها عند ترجمة عمّه خليفة بن ناجي(٨)، ولم يقم عمّه بكفالته مثلما ذكر في تراجم المؤلفين(٩)، بل اهتم بتدريسه وتربيته؛ لأنّه كان موصوفًا بالعلم، فكان يتفرّس فيه النّجابة منذ الصغر، فاعتنى بتعليمه، وحرص على تلقينه مبادىء الفقه، ولم يمت حتى تحقّق ذلك(١٠).

شيوخه

من خلال المصادر المختلفة التي تمكنّا من الاطلاع عليها استطعنا أن نجمع قائمة بأسماء شيوخه، وعلى الرغم من أنّ هذه القائمة لا تتضمن شيوخه كلهم، إلا أنها تضم أبرزهم وأبعدهم أثرًا في تكوين شخصيّته.

فقد أخذ ابن ناجي عن جماعةٍ، تخصصوا في الدراسات الفقهية بمعرفة أصولها، وحفظ مسائل فروعها على مقتضى المذهب المالكي.

قرأ بالقيروان على عمّه خليفة بن ناجي(١١)، الذي شجّعه على حفظ القرآن. قال له يومًا: «ثبت عندي قول القاضي أبي عبدالله محمد الفاسي: فإن عاش ابن أخيك فسيكون منه مالك الصغير»(١٢).

كما أخذ عن كبار شيوخ القيروان كأبي محمد عبيدالله الشبيبي(١٣) (٧٨٥هـ = ١٣٨٣م)، والإمام أبي القاسم البرزلي(١٤) (٨٤١هـ = ١٤٤٠م)، وأخذ عن القاضي أبي عبدالله محمد بن قليل الهم(١٥)، وأبي يعقوب يوسف الزعبي(١٦)، ومحمد الرماح(١٧)، وقرأ الفقه على أحمد بن سلامة الموساوي بداره(١٨)، وعلى علي ابن حسن الزياني المعروف بابن قيراط(١٩)، والفقيه عمر المسراتي(٢٠). وقرأ على القاضي أبي عبدالله ابن أبي بكر الفاسي(٢١) وأضاف محقق الكنّاني: ومحمد بن يحيى الفاسي قال: «وهو أوّل من قرأ عليه الرسالة عامًا واحدًا»(٢٢).

لكن ابن ناجي لازم البرزلي والشبيبي أكثر من غيرهما بالقيروان قبل رحيله إلى تونس.

وظائفه بالقيروان قبل رحيله إلى تونس

ابتدأ ابن ناجي التدريس بالقيروان مع مواصلته حضور دروس شيوخه، ولمّا تقرّر، بأمرٍ من السلطان أبي العباس الحفصي(٢٣) (٧٩٦هـ)، استنادًا إلى فتوى البرزلي، بتعدّد الجمعة في القيروان، واحتيج إلى جعل مسجد الزيتونة بالقيروان جامع خطبة (سنة ٧٨١هـ)، أشار الإمام البرزلي بتقديم ابن ناجي للإمامة والخطابة(٢٤). قال ابن ناجي: «فازدحم الفقهاء أصحابنا في من يكون إمامًا في الجامع المذكور لصلاة الجمعة، فقال شيخنا المذكور: لا يصلح بكم إلاّ فلان – يعنيني بذلك. فقالوا: إنّما أردنا غيره، فقال: «لا أرتهن إلا فيه. وارتهن فيّ عند القاضي يومئذ – أبي عبدالله محمد بن قليل الهم – وكان غرضه تقديم وَلَد بعض القضاة، فقدّمني القاضي بعد التأهيب يوم الجمعة، وقال لي: نحن عقدنا على رأسك لواء أبيض، فاحذر أن تدنّسه بما لا يليق، وبالمشي مع من لا يليق».

وأضاف قائلاً: «وكنت يومئذٍ ابن إحدى وعشرين سنة، فخطبت بالخطبة المعلومة من ورقةٍ بيدي، فلما كانت الجمعة الثانية ألّفت خطبةً، وخطبت بها، فبكى الناس منها وفرحوا، وفرح بذلك شيخنا المذكور فرحًا شديدًا لمّا أعلموه، وتماديت هكذا نحوًا من أربعة أعوام»(٢٥).

قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: «وظهر من مقدرة ابن ناجي في الخطابة ما أدخل على الخطبة الجمعيّة حياة وجدّة مكانة، كان عهد الناس بها قد انقطع من زمانٍ طويل»(٢٦).

رحلته إلى تونس

انتقل ابن ناجي إلى تونس سنة ٧٨٥هـ، وذلك لإتمام التخرّج، وكان انتقاله بتحريض من شيخه المربّي عبيد الغرياني، الذي نصحه بالرحلة إلى تونس؛ لاستكمال ثقافته الشرعية، قائلاً له: «امشِ إلى تونس وتعلّم بها». فلم يقبل ابن ناجي كلام شيخه في البداية؛ لأنه في الغالب إنّما يسافر من يريد القضاء أو الشهادة. قال ابن ناجي: «وكنت في ذلك الزمان لا أريد ذلك، وإنّما غرضي تعلّم العلم وتعليمه... وكنت أقول في نفسي: إذا مات من هو أكبر منّي يحتاج الناس إليّ، فأُقرىء التفسير والحديث فلا أفتقر إلى أن أمشي إلى تونس»(٢٧).

إلا أن الشيخ الغرياني ألحّ في نصحه، فوقع كلامه في قلب ابن ناجي، فسافر إلى تونس، وأقام بها أربعة عشر عامًا يتعلّم ويعلّم(٢٨). وفي تونس اتصل ابن ناجي بأعلامها، وأخذ عنهم، حيث أدرك الإمام محمد بن عرفة، وأخذ عنه(٢٩) وعن أعلام أصحابه، مثل أبي عبدالله محمد الأُبّي، صاحب إكمال الإكمال(٣٠)، وأبي مهدي عيسى الغبريني(٣١)، وأبي القاسم السلاوي(٣٢). وأخذ ثانيةً عن شيوخ القيروان، الذين انتقلوا قبله إلى تونس، كالإمام البرزلي، والشبيبي، ومحمد العواني، وعمر المسراتي، ومحمد بن قليل الهم، وأبي يعقوب يوسف الزعبي(٣٣). فهذه النخبة من الفقهاء، التي انتقلت من القيروان إلى تونس: لنشر المذهب المالكي، دليلٌ قاطع على مدى حرص المدرسة القيروانية على الذّب عن المذهب المالكي ونشره.

ومن أبرز العلماء الذين تتلمذوا على ابن ناجي الشيخ أحمد حلولو اليزليطني القيرواني(٣٤)، وأبو محمد عبدالله العلويني القيرواني(٣٥).

قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: «وتشرّب ابن ناجي طريقة ابن عرفة، ونبغ فيها، فأصبح محيطًا بآرائه واجتهاداته، متمشّيًا عليها في بحوثه وتقريراته، فعلا بذلك في نظر أعلام تلك الطريقة الفقهية التجديدية»(٣٦).

وهذا ما جعل صاحب النيل يصفه «بالعالم الفقيه الحافظ الزاهد الورع القاضي»(٣٧).

وظائفه بعد رحلته إلى تونس

مكث ابن ناجي بتونس أربعة عشر عامًا، كان خلالها مثال العمل والجدّ في الطلب، يتعلّم ويعلّم، لذلك اختاره شيخه قاضي الجماعة أبو مهدي عيسى الغبريني لولاية القضاء والخطابة والإمامة بعدة مواضع من بلاد إفريقية.

وللحديث عن قاضي الجماعة قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: «إن السلطة القضائية أيام العهد الحفصي بيد قاضي الجماعة بتونس الحاضرة، الذي له حق تعيين قضاة بتفويضٍ من السلطان، وله حق النظر في سير القضاء بين أيديهم، وحق صرفهم عن الولاية عند ظهور مقتضى ذلك، وحق نقل القاضي من دائرة إلى دائرة»(٣٨). وقال ابن ناجي «كان شيخنا الغبريني لا يقدّم أحدًا لقضاء ولا لشهادة إلا بموافقة الشيخ ابن عرفة، فلما أراد تقديمي للقضاء شاوره، فقال له ابن عرفة: «ما أعرفه، وإنما أعرف فلانًا وفلانًا وكلاهما من طلبته، وكنت ما حضرت عنده قط، فقال له الشيخ الغبريني: الذي يحفظ تأليفك وما يحدّد النظر فيه على الدول إلا نظر فيه لحفظه استحقّ هذا أن يقدّم عليهما. قال: نعم، قال: ذلك ابن ناجي. قال له: افعل»(٣٩).

فاعتراف ابن عرفة بمكانة ابن ناجي العلمية خير دليل على قيمة الرجل. وبعد تقرير ابن عرفة تقدّم ابن ناجي لقضاء جربة، حيث أقام بها ثلاثة أعوام وخمسة أشهر قاضيًا وخطيبًا(٤٠). قال ابن ناجي: «فكان يصدر منّي من النفع للناس بالوعظ ما نرجو من الله ثوابه»(٤١).

ثم خرج ابن ناجي زائرًا القيروان، فرأى من الصواب استعفاءه من القضاء بجربة، فطلب ذلك من شيخه أبي مهدي، فوافقه على ذلك، ورجع إلى القيروان، فانقطع فيها للتدريس والوعظ بما أوتي من باعٍ طويل في المجالين(٤٢)، ثم انتزع ثانيةً من القيروان، وتولّى قضاء قابس، ثم سوسة، ثم باجة(٤٣)، التي مكث بها سبعة أشهر، فماتت أمه وهو هناك(٤٤)، فقدم لقضاء بلد الاريس ثم تبسّة(٤٥). وذكر ابن ناجي أنه تغرّب في البلاد نحو سبعة عشر عامًا، لا يسكن القيروان إلا قليلاً، فتكون حياته القضائية قد امتدّت من ٧٩٩هـ إلى ٨١٦هـ(٤٦).

ولعل سبب كثرة انتقاله من بلدٍ إلى آخر خلافاته مع ولاة أمور الدولة الحفصية؛ لأنه كان يقف مع الحقّ، لا يداري أصحاب القرار على استيفاء الحقوق ممن صدرت هذه الأحكام(٤٧).

قال ابن ناجي: «والذي يعلم في زماننا أنا نقف في الحق، ونذبّ على الرعيّة في مسائل الشرعيّات خوفًا من النار، فيكتب القواد إلى السلطان بالكلام الباطل، وربما يكتب بذلك، أو يباشر الكلام من سوّيتُ بينه وبين غيره، وحكمتُ عليه كغيره بأدب... فإذا كثر الكلام يشاور السلطان قاضي الجماعة – وهو شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني – فيقول له: «إنّ فلانًا قاضي بلدة كذا ملّه أصحابه، فإذا قبل كلامه يوافقه على تبديله لبلدةٍ أخرى، أو على عزله دون معاوضة، وإلا يقول له: تغافل عنهم، إلى أن مات شيخنا المذكور رحمه الله تعالى(٤٨)، وبعد موته حالت الناس، وصار يتقدّم على الناس من لا يصلح في الأعم الأغلب»(٤٩).

وفاته

كانت وفاة ابن ناجي في أغلب المصادر والمراجع سنة (٨٣٧هـ = ١٤٣٤م)(٥٠) وفي شجرة النور الزكية سنة ٨٣٨هـ(٥١)، وفي تكميل العلماء سنة ٨٣٩هـ اعتمادًا على رسم وفاته الذي حرره عبد الحفيظ الغرياني في رجب ٨٣٩هـ(٥٢). أما قبره فيقع بمقبرة باب تونس بالقيروان(٥٣).

آثاره العلمية

ترك ابن ناجي شرحًا على رسالة ابن أبي زيد، وشرحًا على التفريع لابن الجلاب، وشرحًا على تهذيب المدونة للبراذعي، وتكميلاً لمعالم الإيمان. وأضاف له محقّق كتاب تكميل الصلحاء والأعيان، محمد العنابي كتاب «مشارق أنوار القلوب» دون أن يقدّم له توضيحًا(٥٤)، وأضاف صاحب كتاب العمر تأليفًا آخر له بعنوان «مناقب الشيخ أبي محمد عبدالله بن يوسف الشبيبي القيرواني» نقلاً عن قول ابن ناجي في شرحه للرسالة: «نسأل الله أن ييسّر عليّ بتأليف كتابٍ أذكر فيه فضل الشيخ، وما كان عليه»(٥٥). قال حسن حسني عبد الوهاب: «ولا ندري هل وفّى بوعده لتأليفه عن مناقب شيخه المذكور أو لا»؟(٥٦).

١ - شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني

تعود أسباب شرح الرسالة إلى مكانتها الهامة، حيث قال الدبّاغ في المعالم: «انتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق، واليمن، والحجاز، والشام، ومصر، وبلاد النوبة، وصقلية، وجميع بلاد إفريقية، والأندلس، والمغرب، وبلاد السودان، وتنوفس في اقتنائها حتى كُتبت بماء الذهب»(٥٧). وقال ابن ناجي «أريد بيعها في بغداد بمائتي دينار دراهم. قال أبو بكر الأبهري: لا تُباع إلا وزنًا بوزن، ففعل ذلك، فجاء وزنها ٣٣٠ دينار ونيف»(٥٨).

وحدّد الدكتور الفيلالي شروح الرسالة والتعليقات عليها، النثرية منها والمنظومة، في البليوغرافيا القيّمة التي قام بها في حدود ١٣٤ شرحٍ وتعليق(٥٩).

أما الأسباب الداعية إلى شرح ابن ناجي رسالة

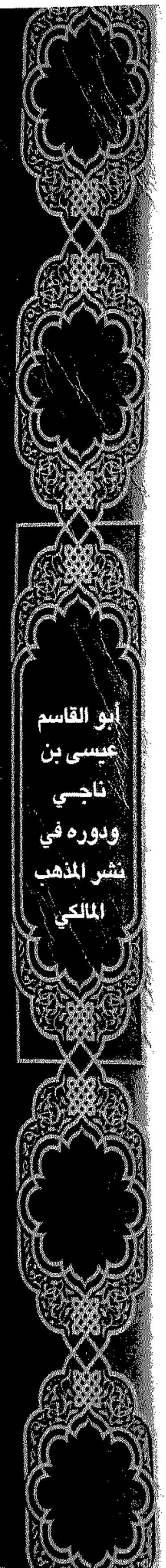

ابن أبي زيد ما قاله في أثناء حديثه عن كرامات عبدالله بن أبي زيد: «وكنت كثير الزيارة لقبره والجلوس بداره، وحفظت فيها كثيرًا من ابن الحاجب، ويغلب على ظنّي أنّه ما فتح الله عليّ إلا بملازمتي للدعاء عند قبره وقبر الشيخ أبي الحسن القابسي ونحوهما، وكنت نويت من صغري إن كان مني شيء أضع على رسالته تأليفًا، فوفّقني الله لذلك، فألّفته وأنا بتونس في حال القراءة بها»(٦٠).

وقال في مقدمة شرحه: «لما كثر إقرائي لرسالة الشيخ الفقيه العالم العامل الورع أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني، استخرت الله في وضع تعليق يُعين النّاظر على ما يتعلّق بما تكلّم عليه الشيخ من أقوالٍ في المسألة، وتتميم لما نطق به الشيخ من ظاهر كلامه إلى غير ذلك من الفوائد»(٦١).

وفرغ ابن ناجي من تأليفه في زمنٍ قصير خشية حضور أجله؛ إذ ألّفه في زمن الوباء الذي أهلك أولاده(٦٢)، فقال بسبب ذلك: «ألّفته في زمن الوباء ووصْلِ الموت، وأنا أؤلف فيه ثلاثمائة كل يوم، فإذا وجدت في هذا التأليف بعض تقصيرٍ منّي في حفظ المذهب، فطالعهُ في شرح التهذيب، تجده على أكمل وجه»(٦٣).

وعلى الرغم من أن ابن ناجي شرح الرسالة في حال قراءته وبسرعة خوفًا من الوباء الذي عمّ إفريقية يومئذٍ، إلا أن شيوخه وغيرهم أقبلوا على هذا الشرح؛ فكان شيخه الغبريني، قاضي الجماعة، ينقل منه بحضرته وغيبته، وكذا شيخه البرزلي وغيرهما(٦٤). كما وصفه صاحب النيل بأنه حسن مفيد(٦٥). وقد أطراه ابن عبد الكريم المغيلي، وكان يقول له المهذّب لشدّة إعجابه به(٦٦).

ويعدّه الدكتور خليفة بابكر الحسن من أهم الشروح المطبوعة نظرًا لتعرّض ابن ناجي للكثير من الفرعيّات، وبيان أقوال العلماء فيها، كما أن من جاؤوا بعده من الشراح اعتمدوا عليه(٦٧). والكتاب مطبوعٌ مع شرح الشيخ زروق في مجلدٍ واحد، ويقع في أسفل الصحيفة، وكانت طبعته الأولى بمصر سنة ١٣٢٥هـ مطبوعات السلطان عبد الحميد ملك المغرب(٦٨)، وطبعته دار الفكر ببيروت سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

وقدّم الدكتور الغيلاني عند تقييمه لببليوغرافيا شروح الرسالة، عدة نسخٍ مخطوطة لتعليقات ابن ناجي على الرسالة في خزائن تطوان، والناصرية، والرباط، ويبدو أنّ هذه التعليقات جزءٌ من شرح الرسالة الذي تمّ طبعه(٦٩)؛ لأن كتب التراجم لم تذكر هذه التعليقات ضمن آثار ابن ناجي.

وشرحُ ابن ناجي على الرسالة مليءٌ بالترجيحات والتوضيحات، ويمكننا من خلاله دراسة الأوضاع الاجتماعية والعُرفيّة في عصره.

٢ - شرح كتاب التفريع

يقول الدهماني في مقدمة تحقيقه لكتاب التفريع: «يعدّ كتاب التفريع مثالاً رائدًا لنوعٍ جديد من المؤلفات الفقهية، وهي المختصرات الجامعة، التي تتناول عددًا ضخمًا من المسائل المندرجة تحت أبواب الفقه كلها بصورة شاملة وبصيغة موجزة»(٧٠).

كما ذكر مكانة هذا الكتاب بين الكتب الفقهية نقلاً عن ابن الحاجب، والتتائي، والقرافي، والمقّري، والشيخ جعيط(٧١). وللتأكيد على فضائل التفريع وفوائده هبّ العلماء لشرحه واختصاره ونظمه، وقد جمع محققه ثلاثة وعشرين شرحًا واختصارًا له(٧٢).

ويبدو أن ابن ناجي اختار الجلاب لشرحه: لأنه

كان ضمن الكتب المقرّرة للتدريس بجامع الزيتونة(٧٣)، حيث تولّى تدريسَه شيوخُه من أمثال: الشيخ الشبيبي، وابن عرفة، والبرزلي(٧٤). فقد يكون ابن ناجي تأثّر بذلك، فرأى ضرورة شرحه ليستفيد منه الناس.

هذا، ولم تحدّد كتب التراجم أيّهما أسبق من التأليف شرح التهذيب أو شرح التفريع؟ وبتتبّعي شرح ابن ناجي للتفريع وجدت أنه كان كثيرًا ما يستشهد بما قاله في شرحه على التهذيب. من ذلك ما جاء في مسألة اللكنة عند الإمام، فبعد أن بيّن ابن ناجي اختلاف الأئمة حول الإمام الذي لا يميّز بين الفاء والضّاد، أو الألثغ الذي يلفظ الراء غينًا، قال ابن ناجي: «وقلت في شرح التهذيب: فيحتمل الوفاق والخلاف، والذي ظهر لي الآن أنّه وفاق»(٧٥).

وما جاء أيضًا في مسألة نفقة الصغير المعتق قال ابن ناجي: «قلت في شرح التهذيب: والصواب عندي فيه، وفي الصغير واللقيط، على ما ذكره اللخمي»(٧٦). وما جاء في كتاب البيوع من شرح التفريع قوله: «حسبما ذكرناه في أول كتاب المرابحة في شرحنا على التهذيب»(٧٧). فهذه النماذج تبيّن أنّ ابن ناجي بدأ بشرح التهذيب، ثم انقطع عنه ليشرح التفريع، وسأل الله أن يطيل عمره ليتمّم شرح التهذيب، خلافًا لما جاء في كتاب العمر من أن ابن ناجي ألّف التفريع قبل شرحه الكبير على التهذيب(٧٨).

وجاء في تكميل العلماء أنّ شرح التفريع يقع في ثلاثة أجزاء(٧٩)، توجد منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب الوطنية بتونس، النسخة الأولى تحمل الرقم ٥٨٠٥ (١٩٩٢ عبدلية)، فيها بعض الأخطاء التي قد تعود للناسخ، لكنّ خطّها واضح، وبالإمكان تحقيقها، وفي ذلك نفعٌ عظيم للمدرسة المالكية بإفريقية.

والنسخة الثانية تحمل الرقم ٧٠٩٨ (١٠٤٧٠ عبدلية)، وهناك نسخة أخرى بمكتبة آل ابن عاشور (رقم ف أ ١٦٤ بخط مغربي).

وهذا **نموذج من شرح التفريع**: «قال ابن الجلاب: قال مالك رحمه الله: يستحبّ لمن استيقظ من نومه غسل يديه قبل أن يدخلهما في إنائه»(٨٠). قال ابن ناجي: «مراده السنّة؛ لأن العراقيين يطلقون على السنّة الاستحباب، وهو فهمُ ابن عبد السلام، وقيل أراد به الفضيلة، وهو ما فهمه ابن بشير في شرحه عليه. قال حكي عن مالك الفضيلة، والذي حكى عبد الوهاب السنّة»(٨١).

٣ - شرح التهذيب

قال عياض في المدارك: «وقد ظهرت بركة هذا الكتاب – أي التهذيب – على طلبة الفقه، ويتمنّوا بدرسه وحفظه، وعليه معوّل أكثرهم بالمغرب والأندلس»(٨٢). قال ابن ناجي: «يعني في زمانه، وأما في زماننا فما المعوّل إلا عليه، ومن ينظر مدوّنه سحنون، الذي هو اختصارها، يعلم فضيلة البراذعي في اختصارها»(٨٣). قال الشيخ محمد الشاذلي النيفر: «هذا التعريف من ابن ناجي بفضيلة التهذيب للمدونة على الأصل – أي المدونة – تعريف خرّيت بالكتابين الأصل والتهذيب؛ لأنه اعتنى بهما، فشرحه للتهذيب عرّفه بهما، فظهر له الفرق بين الكتابين»(٨٤).

ولتبيين مكانة التهذيب، قال ابن خلدون: «ولخّصها – أي مدونة سحنون – أبو سعيد البراذعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب، واعتمده الشيوخ من أهل إفريقية، وأخذوا به، وتركوا ما سواه»(٨٥).

تولى ابن ناجي شرح التهذيب في شرحين، حكى فيهما عمل أهل إفريقية:

– شرح كبير يعرف بالشتوي في ١٥ جزءًا في

٤ أسفار. ذكر بعضهم أن اسمه «نهاية التحصيل وترك التعليل والتطويل»(٨٦): ومنه نسخٌ مخطوطة كثيرة، ذكر محققا كتاب العمر ما يوجد من نسخه في دار الكتب الوطنية بتونس:

– ج ١ – ينتهي إلى كتاب الجنائز: ١٧٢٦ – ٤٨٢٩ – ٥٢٣٣ (عبدلية ١٠٤٦٤). ٦٢٣٤ (عبدلية ٤٥٤٩).

– ج ٢ – ينتهي إلى كتاب الجهاد: ٥٢٣٤ (١٠٤٦٦ عبدلية) ٦٢٣٥ (٤٥٥٠ عبدلية)، ويقابل هذين الجزئين مخطوط رقم ١٢٥١٧ (٢٦٣٢ أحمدية) إلى باب النذور.

– ج ٣ – ٥٢٣٥ (١٠٤٦٦ عبدلية).

– ج ٤ – ٥٢٣٦ (١٠٤٦٧ عبدلية).

– ج ٥ – ٥٢٣٨ (١٠٤٧٩ عبدلية).

ويقابل هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة مخطوط رقم ١٢٥١٨ (٢٦٣٣ أحمدية)، ويتضمن كتاب النكاح الأول إلى كتاب الإجارة.

– جزءٌ مفرد ٥٢٣٧ (١٠٤٦٨ عبدلية).

– جزءٌ آخر من الشرح ٦٢٠٥ (١٠٤٧٢ عبدلية).

– جزء سجل عليه الجزء الثالث، ولعلّه من تجزئة خمسة أجزاء، منه ثلاث نسخ: ١٨٤٢ – ٥٩٨٠ (١٠٤٧١ عبدلية) ١٣٧٦٠ (٢٦٣٤ أحمدية)، تبدأ هذه النسخة بكتاب الأقضية، وتنتهي بكتاب الحبس، ونسخة برقم ١٢٩٣١ (٦٣٥٩ أحمدية).

كما توجد نسخٌ أخرى بمكتبة آل ابن عاشور تحمل الأرقام التالية:

ف أ ١٣٧ ج ١، ف أ ١٣٨ ج٢: ف أ ١٣٥ ج ٤.

وأجزاء أخرى مفردة، تحمل الأرقام ف أ ١٢٠، ١٢١، ١٣٣، ١٣٤، نسخها بتونس تحمل الرقم ٣٤٢١ في مجلدين كبيرين، خطهما حديثٌ جدًّا، وبينهما تكرار. وتوجد نسخة بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب تحمل الرقم ١٨٥٠٢. وجاء في حاشية كتاب العمر أنه توجد نسخة من الجزء الأول بمكتبة ابن عظوم بالقيروان؛ وتوجد نسخة من الجزء الثاني بمكتبة الاسكوريال بمدريد رقم ١١٢٠.

كما توجد نسخ متعددة بفاس تحمل الأرقام ٣٣١/١ ج١، ٣٣٢ ج٢، ويوجد الجزء الخامس والأخير برقم ١١٢٠.

قال الشيخ النيفر: «إنّ الشرح الكبير للمدونة غير تام، وأتمّ نسخة منه كتاب في خمسة أجزاء متوالية ذكر بائعها أنه اشتراها بعض الليبيين»(٨٨).

– شرحٌ صغير يسمى الصيفي، قال القرافي: «وقفت على الصغير منهما»(٨٩). وقال العنابي محقق كتاب تكميل الصلحاء: «شرحه في جزئين ضخمين، وسماه شرح التهذيب»(٩٠). توجد منه نسخة في مكتبة الشيخ أحمد المهدي النيفر شقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر(٩١). بينما ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٢٩٠/٣) الشرح الصغير فقط، وهذا وهمٌ منه. وتوجد نسخة منه بدار الكتب الوطنية رقمها ١٨٢٠٥ بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب. أما النسخة التي تحمل الرقم ٥٨٠٨ الذي ذكره محفوظ، ونقله عنه الدكتور البشير البوزيدي، فهي نسخة من شرح التفريع، وليس شرح المدونة(٩٢).

هذا ويعدّ شرح التهذيب من أهم مؤلفات ابن ناجي. قال الشيخ محمد الشاذلي النيفر: «هو من أنفس ما كُتب في الفقه المالكي لتحريره العمل التونسي». وقال: «إن هذا الشرح يعين على فهم تهذيب المدونة للبراذعي، والتهذيب للمدونة هو أصل الأصول للمذهب المالكي، وكلّ ما ألّف متفرعٌ عنه. فالعناية بالتهذيب، وما يتعلّق به، عناية بالأصول الأساسية»(٩٣). ويعدّ شرح التهذيب من

أهم الكتب التي اعتمدها عظوم(٩٤) (١٠١٣ = ١٦٠٥) في كتابه تراجم خليل، وقد رجع عظوم إلى شرح ابن ناجي الكبير في تسع عشرة مسألة(٩٥). وفي نظر الشيخ محمد الشاذلي النيفر يُعدّ شرح تهذيب المدونة، ومختصر ابن عرفة، وحاوي البرزلي خلاصة الفقه المالكي الإفريقي(٩٦). ورجّح الدكتور البشير البوزيدي وجود نسخٍ من شرح التهذيب غير ما ذُكر سابقًا بتونس والمغرب وغيرها من المكتبات العامة أو الخاصة. ويرى محققا كتاب العمر المطوي والبكوش أنّه من الصعوبة بمكان جمع نسخة تامة لشرح التهذيب(٩٧). بينما يرى البوزيدي أنّ نسخ تونس المتنوعة تمكننا من الحصول على نص كامل لشرح ابن ناجي(٩٨).

أنموذج من شرح التهذيب

استهلّ ابن ناجي شرحه بتحديد موضوع كتابه هذا بأنه تعليقٌ على مسائل المدونة الواردة في تهذيب البراذعي، ثم فسّر رموزه المستعملة، فمثلاً إذا قال: شيخنا، فالمعنيّ بذلك البرزلي، أما قوله: شيخنا أبو مهدي، فالمقصود به أبو مهدي عيسى الغبريني؛ وما نسبه إليهما هو سماعه عنهما مشافهةً، وليس نقلاً عن كتبٍ صنّفاها. أما قوله: بعض فضلاء أصحابنا، فالمراد أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد القيرواني، وعندما يطلق عبارة بعض شيوخنا، فيشير إلى الشيخ محمد بن عرفة، وما يسنده إليه يكون غالبًا نقلاً عن كتبه(٩٩).

وفيما يلي أنموذج من شرح ابن ناجي لكتاب الطهارة من التهذيب:

قال ابن ناجي: «ابتدأ رحمه الله بكتاب الطهارة، ومثله لابن الجلاب نظرًا منهم إلى أنّ الطهارة أول المفعولات، ولأن الماء وسيلة إليها. وابتدأ جماعةٌ من المؤلفين بالمياه، ومنهم ابن الحاجب، نظرًا منهم إلى أنّ الطهارة تؤدى بالماء. والماء له أحكامٌ وأقسام: فيجب تقديم النظر فيها، وبدأ الإمام مالك رحمه الله تعالى في الموطأ بالوقوت التفاتًا منه إلى أنّ الطهارة إنما تجب بعد دخول الوقت، فيجب تقديم النظر فيه، قيل: وهو أصوبها. وأما من بدأ بالإيمان كمسلم، أو بالوحي كالبخاري، فليس موضوع علمهما خصوص علم الفروع، بل هو أعمّ من ذلك، وهي السنّة المأثورة عن النبيﷺ، المتضمنة الإيمان وخِصاله والإسلام وشرائعه، وغير ذلك من الأحكام، والمعجزات، والأخبار بالمغيبات. وأما بداية أبي محمد ابن أبي زيد في رسالته بالعقيدة، وإن كانت ليست من علم الفروع، فلأنه فصّل بيان ما يلزم المكلّف من فرض، ووصل ذلك بجمل من أصول الفقه وفنونه؛ ليعلّم ذلك للولدان كما يتعلّمون حروف القرآن؛ ليسبق إلى نفوسهم من معالم الديانة وحدود الشريعة ما ينتفعون به»(١٠٠).

والمتتبّع لشرح التهذيب يلاحظ أن ابن ناجي يكثر من النّقول، ويشرح المسألة الواحدة في صفحات متعدّدة، يلمّ شتاتها من جميع الجهات، مركّزًا على الجانب الفرعي. فمثلاً كتاب الصلاة الأوّل، الذي اختصر فيه البراذعي توقيت الصلاة في ستة أسطر(١٠١)، شرحه ابن ناجي في أكثر من عشر صفحات(١٠٢).

٤ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان

امتاز ابن ناجي بنفسه الطويل عند شرحه على التهذيب، وفي أثناء شرح أكثره(١٠٣) أكمل أصل أبي زيد الدّباغ (- ٦٩٦هـ)، وأضاف إليه تراجم العلماء والصلحاء، الذين جاؤوا بعد الدّباغ إلى عصره(١٠٤).

قال الكناني والعنابي: «وقد تعرّض فيه بالحديث عن رجال القيروان من ٦٩٠هـ إلى ٨٣٧هـ، وعلى الرغم من جهوده الوفيرة في تدارك ما فات الدّباغ. إلاّ أنّ ابن ناجي أغفل الكثير من

علمائها المبرزين، كعيسى بن مسكين، وأبي إسحاق الجبنياني وأضرابهما(١٠٥).

ويذكر ابن ناجي أنّه أخذ أصل المعالم من رجل صالح يقال له ساسي الزوّار(١٠٦). ولقد تمّ طبع هذا الكتاب بالمطبعة الرسميّة بتونس سنة ١٣٢٠هـ في أربعة أجزاء، وأعيد طبعه بعناية المكتبة العتيقة بتونس، ومكتبة الخانجي بالقاهرة، بتحقيق جماعة من العلماء.

وبتتبّعي لكتاب المعالم تبيّن لي أنّ الكتاب أُلّف في أثناء شرح ابن ناجي على التهذيب(١٠٧). وأنّ صاحبه تمنّى لو يطيل الله في عمره؛ لينهي شرح التهذيب قبل وفاته. ولم يكتفِ ابن ناجي بتكميل تراجم علماء القيروان، بل قام بتحقيق ما كتبه الدباغ، والتثبّت فيه بالرجوع إلى مصادره(١٠٨)، والتثبّت في ذكر وفيات الأعلام مقارناً بما جاء في كتاب رياض النفوس للمالكي(١٠٩).

وأكثر ابن ناجي من تصحيح ما كتبه الدباغ بقوله مثلاً: «وهذا الكلام فيه بتر»(١١٠)، أو قوله: «وهو قصور»، وقدّم إضافاتٍ وتوضيحات في غايةٍ من الأهمية، بلغت أكثر من ٩٠ إضافة، فهو عندما ينقل رأي الدباغ يستعمل لفظة «قال»، وعندما يستدرك، أو يعلّق، أو يضيف يستعمل كلمة «قلت». ومن عادته أنه يستعمل ضمير الجمع في مقام ضمير المتكلّم. ولم يكن ابن ناجي فيه جامعًا فقط لشتات تراجم مالكية القيروان من كتب الطبقات، بل كان يعقّب على تراجم بعضهم، وذلك مثل ترجمة البراذعي وتهذيبه، حيث خالف ما جاء في المدارك(١١١).

وكانت مصادر ابن ناجي في كتاب المعالم كتب الطبقات المالكية المعتمدة، مثل – طبقات أبي العرب، ورياض النفوس للمالكي، والمدارك، والاستيعاب لابن عبد البر، ثم نقل عن أبي إسحاق إبراهيم العواني في كتاب «الاعتناء والاهتمام في تواريخ ملوك الإسلام». وكان ينقل الأخبار الشفوية عن شيخه أبي محمد عبدالله الشبيبي خاصة، الذي ذكره خمسًا وسبعين مرة، والإمام البرزلي، الذي ذكره ستين مرة.

ولم يستطع ابن ناجي الاستغناء عن تخصصه الفقهي في كتاب المعالم، حيث جمعت له أكثر من خمسين مسألة فقهية، كما كان مليئًا بالكرامات وبالمواعظ والعبر. ويؤكد كتاب المعالم أنّ ابن ناجي كان عارفًا بقبور العلماء والصالحين الذين دفنوا بالقيروان.

دوره في نشر المذهب المالكي

علاقته بشيوخه: كان ابن ناجي يجلّ شيوخه ويُكبرهم، على الرغم من جلال قدره، وكان يعود إليهم بالنظر في الفتوى والقضاء، على الرغم من المكانة العلمية التي بلغها.

علاقته بالبرزلي: كانت العلاقة التي تجمع بين الرجلين طويلة ومتينة، حيث تتلمذ ابن ناجي على البرزلي بالقيروان ثم بتونس. قال في التوشيح: «وكان اشتغاله على البرزلي أكثر»(١١٢)، وكان ابن ناجي يروي عن شيخه كثيرًا، وينقل بعض الأخبار عن مواقفه وأقواله الفقهية وفتاويه في بعض الأحكام والنوازل(١١٣). وكان يخصّه بلفظ شيخنا دون ذكر اسمه؛ لاشتهاره بالانتساب إليه(١١٤). ففي حين ذكره في المعالم ستين مرة ذكره في شرح التفريع ما يناهز خمسين ومائة مرة. ولتأكيد مدى تعلّق ابن ناجي بالبرزلي ما قاله في المعالم: «شيخنا أبو الفضل البرزلي، لا ثاني له في سائر بلاد إفريقية، ولذلك كان هو المفتي الأكبر بالحضرة العليّة في بلد سلطان مدينة تونس، وعليه المعوّل»(١١٥).

ولتأكيد مدى محبة الإمام البرزلي لتلميذه ابن

ناجي أنّه ينقل عنه في شرح الرسالة، ويعود إليها(١١٦). وهذا دليلٌ على إكبار البرزلي لجهود ابن ناجي. كما روى الرصاع واقعة تثبت مدى احترام البرزلي لابن ناجي، حيث قال: «وكنت أتعجب من صاحبنا الفقيه أبي القاسم بن ناجي، وكان يحضر مجلسه (أي مجلس البرزلي)، وإذا قُرِئت المدونة عليه يقول: ياسيدي حفظكم الله قيّدها بعض من لقيناه بنون العظمة - بحضرة الشيخ، فعلمت مقداره عنده»(١١٧).

وهذا أنموذجٌ ثالث يبيّن العلاقة الوطيدة بين الشيخ وتلميذه، مفادها «أن السلطان أبا الفارس عبد العزيز الحفصي امتلأ غيظًا من ابن ناجي، ولمّا حضر هذا الأخير مجلس السلطان، قال أبو فارس للكاتب: اكتب في ظهير ابن ناجي: إنّه يعمل الميعاد، فقال له الغبريني: وهو مدرس مليح وطالب، على ذلك فما يفتقر للكتب، وقال آخر: إنّه ألف على الرسالة، وقال البرزلي: ألّف على غيرها، ويخطب في خطبه. فقال السلطان: إذا كان هكذا، إذا ملّه أهل بلد، فليُنقل لبلدٍ آخر، فإنّ عزل هذا ومثله عجيب»(١١٨).

علاقته بالغُبريني: لما ولي ابن ناجي القضاء، كان لا يحكم إلا بعد أن يستشير قاضي الجماعة أبا مهدي عيسى الغبريني، ولتأكيد تعلّق ابن ناجي بشيخه ما جاء في كفاية المحتاج للتنبكتي عند ترجمة الغبريني. قال ابن ناجي: «ممن يظنّ به حفظ المذهب بلا مطالعة، ما رأيت منه أصحّ نقلاً، ولا أحسن ذهنًا، ولا أنصف منه، مع كمال الرياسة»(١١٩).

ولقد رجع ابن ناجي لشيخه الغبريني عند شرح الرسالة في أكثر من ثمانين مسألة، وذكره عند شرحه على التفريع تسعين مرة. ومن ذلك ما جاء في شرح التفريع. قال ابن ناجي: «وقع في أحكامي بباجة في المتزوج إذا لم يحضر لعقد النكاح، وزعم أنّه بلغه بالقرب، ورضي، وليست له بيّنة بذلك، وقال والد الصبيّة: إنّما بلغك بالبعد، فالذي تبادر لذهني أنّ والدها مدّع على ظاهر قولهم: إن كان بالقرب جاز، وكتبت لشيخنا أبي مهدي رحمه الله، فأجابني بأنه يُقبل قوله: لأنه مدّع لصحة النكاح، ووالدها مدّع لفساده»(١٢٠).

علاقته بالشيخ الشبيبي القيرواني: كان ابن ناجي معجبًا بشيخه، مما دفعه إلى التفكير في تأليف كتاب يجمع مناقبه وفضائله(١٢١)، وقد اعتمد عليه في كل تآليفه، حيث ذكره في شرح الرسالة أكثر من عشرين مرة، وذكره ثلاثًا وأربعين مرة في شرح التفريع، وذكره خمسًا وسبعين مرة في تكميله لمعالم الإيمان، وكان يصفه بالصلاح(١٢٢).

ذكر ابن ناجي مسألة أمام شيخه الشبيبي، ففرح بها الشيخ. قال ابن ناجي: «وكأنه ظهرت له نجابتي مع صغر سنّي»(١٢٣). وهذا دليلٌ على العلاقة المتميّزة بين الشيخ وتلميذه.

وهذا نموذجٌ مما خالف فيه ابن ناجي شيخه الشبيبي، وهو في بداية دراسته في مسألة نفقة الأب على ابنه الصغير.

قال ابن ناجي: «سأل والدي، رحمه الله تعالى، شيخنا أبا محمد عبدالله الشبيبي، رحمه الله تعالى، عن مسألة: إن زوّج الأب ابنه، ولا مال له، فالصداق على الأب، بحضرتي، وكان لي في الميعاد نحو من سنتين، وحفظت جملة من ابن الحاجب، فأفتاه بأنه على الولد، فقلت: حفظكم الله تعالى، هو قولٌ شاذّ، والمشهور أنّه على الأب ولو بيّن، قال ابن الحاجب: من زوّج ابنه الصغير فقيرًا، فالصداق في مال الأب، عاش أو مات، ولا ينتقل إن أيسر، وقيل إلا أن يبيّن أنّه على الابن، فتبسّم، وكانت له أخلاق حسنة، ورجع عن فتواه، وأفتاه بالمشهور؛

لأنه إنما أفتاه أولاً بما ذكره لاعتقاده أنّه المذهب والمشهور»(١٢٤).

فهذا دليلٌ على أنّ ابن ناجي يمتاز بالألمعية منذ صغره، وأن الشيخ الشبيبي يمتاز برحابة الصدر والأخلاق الفاضلة.

مكانته العلمية: أثبتت كتب التراجم أنّ ابن ناجي كان فقيهًا مبرزًا مستوعبًا لكل ما جاء بالمدونة ومستحضرًا للفروع، وذلك بعد أن تشبّع بالأخذ عن علماء القيروان والزيتونة، واختار منهم ذوي التقدّم مثل البرزلي، وابن عرفة، والشبيبي، والغبريني؛ لأنّه بهم تجسّم المذهب المالكي، وانتشرت الفتوى والتقاضي على مقتضاه. وبعد أن ملأ وطابه درّس الفقه بنظر تطبيقي سديد. قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: «كانت دروسه الفقهية بيانًا للأحكام بأصولها وعللها، وتقريرًا لما فيها من مختلفة الأنظار والتخاريج..(١٢٥). يربط بين الفروع والأصول»(١٢٦). وأصبح بذلك واسع العلم، فصيح القلم، ذابًا عن مذهب مالك، شارحًا أقوال كبار الفقهاء دون أن يتعبّد بآراء شيوخه، بل يناقشها، مقدمًا الدليل والراجح والمشهور؛ من ذلك مناقشته لشيخه ابن عرفة في كتاب القسمة من شرح التفريع(١٢٧)، ومناقشته كلاً من البرزلي والغبريني في كتاب الشهادة من الشرح نفسه(١٢٨).

وكان ابن ناجي من كبار قضاة المالكية في عصره، وذلك بعد أن تأثّر بمدرسة ابن عرفة، التي تنادي بدراسة فقه مبنيّ على مناقشة الأنظار المختلفة، والاختيار بينها حسب قوة الدليل وضعفه. قال الشيخ محمد الفاضل في إحدى محاضراته: «وذهب القضاة من تلاميذ ابن عرفة – ينتهجون نهج ذلك الاختيار في أقضيتهم، وأكدت عليهم الاضطرابات الاجتماعية لزوم اتباع ذلك المنهج؛ لما فشا من الفساد والحيل، فبدأ يتقرر بذلك في الأقطار المغربية عمل قضائي جارٍ على خلاف المعروف من دواوين المذهب المالكي.

كانت اليد الطولى في اختيار أوجهه لقاضي القيروان في القرن التاسع الشيخ أبي القاسم بن ناجي»(١٢٩).

وقال الشيخ محمد الفاضل عند ترجمته لابن ناجي في كتاب «أعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي»: «أصبح ابن ناجي فارس ميدان العمل القضائي بعد أن أدخل مباحث العمل في عناصر فقهية، وبأسلوبه ذلك امتازت كتبه، وأصبحت عمدة العمل القضائي في إفريقية، ووجهت الفقه في فاس، وتلمسان، ومازونة، وبجاية، وقسنطينة، كما وجهته في تونس نحو الاعتناء بالعمل ضبطًا ونظرًا». وأضاف: «وكانت كتب ابن ناجي الأصل في هذا التوجيه، وهي المرجع لتحقيق ما جرى به العمل التونسي، فما من مؤلف في العمل في القرن التاسع فما بعده إلا هو عالة على ما قضى به ابن ناجي، أو ما نصّ ابن ناجي على جريان العمل به ووجّهه»(١٣٠).

وهذه شهادة أخرى من أحد معاصريه، تبين مكانة الرجل العلميّة. قال الشيخ الرصاع في فهرسته: «ما رأيت أحفظ من الشيخ ابن ناجي»... إلى أن قال: «وله اطلاع في الفقه وحفظ كبير»(١٣١). ومما يؤكد أن ابن ناجي على اطلاعٍ كبير على كتب المالكية قوله عند شرحه على التفريع: «وقد قرأت مختصر ابن عبد الحكم البغدادي خمس مائة مرة، والأسدية خمسًا وسبعين مرة، والموطأ خمسًا وأربعين مرة، ومختصر ابن عبدالبر سبعين مرة»(١٣٢).

نماذج من أقضيته وفتاويه

تحدّث ابن ناجي عن أوضاع القضاء في عصره، مبيّنًا أنّ القاضي أصبح يتقدم على

الناس، وهو لا يستحقّ ذلك(١٣٣) قال: «ورأيت في زماننا من يرشو عليه – أي القضاء – من يُقْبَلُ قوله عند من له النظر من أمير المؤمنين وقاضي الجماعة، ولئن طال الأمر هكذا أخاف أن يُصبح أقبح من هذا»(١٣٤). وبيّن أنّ التواضع للقاضي مطلوبٌ حيث لا يزري بخطة القضاء. قال: «وقد فعلت من التواضع من تأتّى لي بجزيرة جربة؛ لأنّ ذلك لا يُزري بخطة القضاء عندهم؛ لأنهم برابر – هكذا – كالبادية، بخلاف غيرهم كأهل باجة»(١٣٥) وذكر ابن ناجي المرتّب الذي كان يأخذه مُشاهرةً مدّة قضائه(١٣٦).

ومن أقضيته حرصه على عدالة الشهود

قال ابن ناجي: «لما وُلّيت قضاء جزيرة جربة، وجدتُ أهلها خوارج، وشهودهم منهم، وليس فيها من أهل السنّة إلا القليل ممن لا يعرف مواضع الشهادة كالأجناد. وأهلُها من الرجال الأحرار البالغين يزيدون على ثلاثين ألف، ما عرفني من يوثق به، ووجدتُ قضاةً أصحابنا بأجمعهم عملهم على جواز شهادتهم للضرورة، وكنت أحافظ على من يشهد بالحقّ ولا أبالي بمذهبه وحاله في غير ذلك للضرورة»(١٣٧).

فمن خلال هذا الحكم يتبيّن لنا أنّ ابن ناجي كان حريصًا على التحلّي بشروط القاضي التي ضبطها الفقهاء.

وقضى ابن ناجي بالتأنّي قبل تأديب الولد، عندما يشكو الأب تأديبه من طرف القاضي، مخالفًا بذلك شيخه البرزلي، الذي يرى أنّ القاضي يؤدب الولد عند دخوله مجلس القضاء. قال ابن ناجي: «وكنت أطيل الكلام بينهما، وأودّ من الوالد أن يحلم عنه، فإن تمادى على قوله، وتكلّم الولد بين يديّ بما يوجب أدبه أدّبته لذلك، وإلا فلا»(١٣٨).

وقضى ابن ناجي بوجوب نفقة اللقيط على ملتقطه(١٣٩).

وكان ابن ناجي يعود في القضايا الشائكة إلى شيخه قاضي الجماعة بتونس أبي مهدي عيسى الغبريني، ومن ذلك قوله في شرح التفريع: «وقع في أحكامي بباجة في شهودٍ شهدوا في يتيمة أنّها بلغت فزوّجتُها، ثم ظهر أنها لم تبلغ بعد الدخول، فحِلْت بينها وبين زوجها، وشاورت شيخنا أبا مهدي رحمه الله في فسخ النكاح، وفي تأديب من شهد، فأفتى بالفسخ وعدم الأدب». قال ابن ناجي: «فحكمت بذلك، مع أنّ الصواب تأديبهم»(١٤٠).

ومن فتاوى ابن ناجي أنه أفتى بعدم الضمان للقيم إذا كسر قنديل المسجد دون تفريط(١٤١)، وأفتى بجواز أكل رأس الأضحية إذا شوّط بالنار قبل غسل دمه موافقًا ابن أبي زيد، الذي يرى جواز أكل لحم الرأس؛ لأنه محال رجوع الدم إلى داخل اللحم(١٤٢).

وذكر ابن ناجي مسألة وقعت بالقيروان، خالفت فتواه فتوى شيخه عمر المسراتي، مفادها: «أنّ رجلاً وضع دراهم في جيبه، فلم يجدها، فسأل أخاه عنها، فحلف بالطلاق أنه لم يدخل له بيتًا، ثم ذكر أنّه دخله، قال ابن ناجي: «فأفتيت بحنثه، وأفتى مفتيها حينئذٍ، وهو الشيخ أبو حفص عمر المسراتي، أنّه لا شيء عليه؛ لأنّ قصده أنّه لم يأخذ له شيئًا؛ ثم سئل عنها الشيخ أبو مهدي رحمه الله تعالى على ما بلغني، فأفتى بحنثه كما ذكرناه»(١٤٣).

جانب الطرافة والحكمة في آثاره

يميل ابن ناجي في شروحه إلى ذكر الأخبار التي فيها طرافة واعتبار، من ذلك ما جاء في شرحه لكتاب اللقطة من ابن الجلاب. قال ابن ناجي: «أتى راعي الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد بشاةٍ، فبعث بها إلى الشيخ أبي الحسن القابسي، فأمر بذبحها وسلخها، ورمى لقطّته طرفًا منها، فشمته وانصرفت عنه، فقال: ردّوها للشيخ،

وقولوا له إنّ قطّتي أخبرتني أنّ هذه الشاة حرام، فتعجّب من ذلك؛ لعلمه بطيب مكسبه، فسأل الراعي، فقال: يا سيدي ليست من غنمك، ولكن اختلطت على غنمك، وعرّفتُ بها، فلم يأت لها طالب، فأتيت بها إليك، فقال: قطة القابسي أورع من ابن أبي زيد». قال ابن ناجي: «وهذه الحكاية ذكرها لي من يوثق بنقله من صلحاء القرويين»(١٤٤).

كما كان ابن ناجي يستشهد أحيانًا بأقوال الحكماء، فعند شرحه لقول ابن الجلاب: «والخنزير محرّمٌ، وأكل لحمه وشحمه، ولا بأس بالانتفاع بشعره، في هذا الخنزيرُ وغيرُه»(١٤٥). قال ابن ناجي: «ما ذُكر من أنّ لحم الخنزير محرّمٌ فهو بالقرآن، وأما شحمه فهو بالإجماع، قالوا: والعلّة في تحريمه أنّ لحمه يورث الحرص على الدنيا، ويُذهب بالغيرة. قالت الحكماء:

أكَلَ أربع أربعًا فأفادتها أربعًا:

- **أكل السودان القردة، فأفادتها الرقص والطرب.**
- **وأكلت العرب لحوم الإبل، فأفادتها الحقد والكرم.**
- **وأكلت الترك لحوم الخيل، فأفادتها القساوة.**
- **وأكلت الروم لحوم الخنزير، فأفادتها الخسّة وعدم الغَيرة.**

قال ابن راشد: وبلغني أنّ هذه المقالة ذكرت بين يدي شمس الدين ابن ماجل والي الإسكندرية، فقال بعض الحاضرين منكتًا على المغاربة: يا مولانا، بل هي خمس! فقال: وما الخامس؟ قال: وأكلت المغاربة الكلاب، فأفادتها التهاوش. فقال بعض الأندلسيين: بل هي ست! فقال له: وما السادس؟ فقال: وأكل أهل مصر الفئران، فأفادتها الخيانة. فقال ذلك القائل: أو كلٌّ أهل مصر يأكلون الفئران؟ فقال له: أو كلّ المغاربة يأكلون الكلاب، فانفصل المجلس على استحسان جواب الأندلسي»(١٤٦).

ورعه وتقاه

إضافة إلى سعة علمه وكثرة حفظه كان ابن ناجي مهابًا ذا وقار من كل ما يراه، فكان عندما تضيق نفسه من لزوم الدار يجلس فوق دكانة العلو، فإذا مرّ راكبٌ ينزل من دابّته، وبعضهم يرجع إلى طريقٍ آخر، أو يمرّ خجلاً، ولما كان ابن ناجي يلاحظ ذلك يقوم من مكانه ويدخل الدار(١٤٧).

ولكثرة حفظه للخطب، ولصدقه في أدائها، يُطلب منه أداء صلاة الاستسقاء رجاء رقّة القلوب(١٤٨).

ويذكر ابن ناجي أنه لما ولي قضاء جزيرة جربة، وَردَ عليه أحد العلماء من المشرق، فقال له: «رأيتك تردّ السلام على أهلها، وهم خوارج، وإذا مررت على بعضهم تبتديه بالسلام، فأنت مخالف لقولها، فقال له ابن ناجي: قولها عندي مخصوصٌ بمثلي، فإني لو لم أردّ على من سلّم عليّ أولاً أبتدىء على من يمرّ عليّ من شيوخها وعدولها ونحوهم، يبرز منهم من الفساد ما لا يوصف، وأنوي بالسلام أن الله مطّلعٌ عليكم»(١٤٩). فهذه الحادثة تبيّن الآداب التي يجب أن يتحلّى بها القاضي لتكون كلمته نافذة.

وكان ابن ناجي يقيم الليل كثيرًا(١٥٠)، وكان يكثر من زيارة دار ابن أبي زيد ويطيل العكوف بها(١٥١). وكان ينادي بكثرة زيارة القبور؛ لتتعظ النفس، قال عند شرحه على ابن الجلاب: «المطلوب لمن له عقل أن يُكثر الزيارة جدًا في كل وقت؛ لأنّ فيه كمال الزجر والوعظ للنفس، وما فتح الله عليّ في اعتقادي إلا بكثرة زيارة القبور والتضرّع بالدعاء عند قبور أكابر الشيوخ، كسحنون بن سعيد، وابنه محمد، وأبي محمد ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي، وأبي عمران الفاسي، وأبي بكر ابن اللباد، وأبي القاسم السيوري». قال: «ومن

حسن الزيارة أن يكون الإنسان وحده؛ لأنه إذا كان معه غيره يتزيّن في دعائه له، فالغالب عدم النفع بذلك»(١٥٢).

وكان ابن ناجي يعتقد بكرامات الصالحين، ويزور مقاماتهم، ويدعو الله ببركاتهم، ويذكر في المعالم أنّه وقعت له كرامة عندما دعا ببركة الشيخ عمار المعروفي. قال ابن ناجي: «وكنت لما وُلّيت قضاء باجة، مشيتُ إليها في الصيف في زمن شدّة الحرّ من سوسة، فجاءت طريقي على أريانة؛ لأنّي أعرف بها بعض الفضلاء، فنزلت عندهم، وكانت معي زوجتي وولدي الصغير، فلما عزمت على السفر إلى باجة، زرت الشيخ، وقلت: اللهم بما قرأ وقرىء عليه لا تجعل تشرق علينا شمس إلا من تحت السحاب حتى نصل لباجة من شدة الحرّ، فأجاب الله دعائي ببركته، فما طلعت الشمس من تحت السحاب حتى أشرفنا عليها»(١٥٣).

الخاتمة

وفي الختام يمكن أن نستقرىء الحالة الاجتماعية، والفكرية، والعقدية، والعرفية من تآليفه: فشروح ابن ناجي مليئة بالعمل الإفريقي، فهو الذي بيّن لنا مثلاً أنّ شيوخ تونس ينكرون اتّباع الأولياء صراحةً عكس شيوخ القيروان(١٥٤)، وهو الذي بيّن لنا ما جرى به العمل بإفريقية قبل أداء صلاة العيد، حيث يفترق الناس في المصلّى فرقتين للذكر، فإذا فرغت إحداهما من التكبير، سكتت، وأجابت الأخرى بمثل ذلك(١٥٥).

وختامًا إن هذه الدراسة المختصرة تبيّن بكل وضوح أنّ ابن ناجي كان واسع العلم، فصيح القلم، ذابًّا عن مذهب مالك، شارحًا أقوال فقهاء المذهب، وشروحه تشهد بذلك، يجمع إلى ذلك صلاحًا تامًّا وعدلاً في التقاضي.

فابن ناجي يعدّ حسنة من حسنات الإمام سحنون، والإمام ابن أبي زيد، ومساهمته في المذهب واضحة وجليّة. ونظرًا لمكانة تآليفه الفقهية عرّف بها كل من ترجم له. والمتتبّع لتآليفه المخطوطة يجدها مفعمة بالحوادث التاريخية الواقعة في عصره، أو السابقة له، ومليئة بالروايات الشفويّة، وبمواقف شيوخهم، وبأحكامهم وفتاويهم، وتعدّ كتبه من المصادر التي لا يمكن أن يستغني عنها الباحث في الحقبة الحفصيّة وقبلها.

●●●

الحواشي

١ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٢ – ١٠٣.

٢ – نيل الابتهاج: ٢٢٣.

٣ – مقدمة تكميل الصلحاء: ف.

٤ – المرجع نفسه: ف.

٥ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٣، التراجم: ٨/٣.

٦ – التراجم: ٨/٣.

٧ – شرح التفريع: ٧٦.

٨ – معالم الإيمان: ١٩٣/٤ وما بعدها.

٩ – التراجم: ٣/ ٨ وما بعدها.

١٠ – المعالم: ٤/ ١٩٣ وما بعدها، مقدمة تحقيق تكميل الصلحاء: ف، كتاب العمر: ٧٧٧.

١١ – لم يذكر ابن ناجي تاريخ وفاته. المعالم: ٢٠٠/٤.

١٢ – المعالم: ١٩٩/٤.

١٣ – الحلل السندسية: ٦٥٢/١ – الإتحاف: ٢٩٠/١، شجرة النور الزكية: ٢٢٥ رقم: ٨٠٥، تاريخ الدولتين، الموحدية والحفصية: ٩٧، تاريخ قضاة القيروان، مخطوط: ٢٨، التراجم: ١٤٥/٣ وما بعدها، كتاب العمر: ٧٥٥ وما بعدها.

١٤ – التوشيح: ٢٦٦، كفاية المحتاج: ١٠٣، درة الحجال: ٢٨٢/٣، تاريخ الدولتين، الموحدية والحفصية: ١٣٩، مسامرات الظريف، ٢١٢/١ – تكميل الصلحاء: ٩ – ١١، شجرة النور الزكية: ٢٤٥ رقم ٨٧٩، معجم المؤلفين: ١٥٨/٢، التراجم: ١١٥/١ وما بعدها.

١٥ – كفاية المحتاج: ١٠٢، ١٠٣، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

١٦ – كفاية المحتاج: ٢٠١، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

١٧ – الحلل السندسية: ٦٤٥/١.

١٨ – المعالم: ٤/٢٤٥، تكميل الصلحاء: المقدمة: ف.

١٩ – المعالم: ٤/٢٠٥، تكميل الصلحاء: المقدمة: ف.

٢٠ – كفاية المحتاج: ١٠٣، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

٢١ – المعالم: ٤/١٩٧، نيل الابتهاج: ٢٢٣، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

٢٢ – تكميل الصلحاء: المقدمة: ف.

٢٣ – الأدلة البيّنة النورانيّة: ١٠٨ وما بعدها.

٢٤ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٣.

٢٥ – المعالم: ١/ ٢٨ – ٢٩.

٢٦ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٣ – ١٠٤.

٢٧ – المعالم: ٤/ ٢٥٩.

٢٨ – المعالم: ٤/٢٥٩، كتاب العمر: ٧٧٧، أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٣ – ١٠٤، التراجم: ٨/٣ وما بعدها.

٢٩ – كفاية المحتاج: ١٣٨ وما بعدها، درة الحجال: ١/ ٢٨٢، مسامرات الظريف: ٢٠٩/١، التوشيح: ٢٥٣، كتاب العمر: ٧٨٢ وما بعدها.

٣٠ – الكفاية: ١٤٨، النيل: ١٥٢ – ٢٢٣.

٣١ – التوشيح: ١٣٩، درة الحجال: ١٩١/٣، المسامرات: ٢١١/١، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

٣٢ – الكفاية: ١٠٣.

٣٣ – الكفاية: ١٠٢، التكميل: ٩ وما بعدها، أعلام الفكر: ١٠٤، التراجم: ٨/٣ وما بعدها.

٣٤ – الكفاية: ١٠٢، النيل: ٢٢٣، الحلل: ٦٤٥/١ – ٦٤٧، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨، كتاب العمر: ٨١٠ – ٨١٢.

٣٥ – تاريخ قضاة القيروان: ٢٨ ب.

٣٦ – أعلام الفكر: ١٠٤.

٣٧ – النيل: ٢٢٣، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨.

٣٨ – ومضات فكر: ٢٥٢/٢ وما بعدها.

٣٩ – المعالم: ٤/ ٢٤٨ – ٢٤٩.

٤٠ – المعالم: ٤/ ٢٥٩ – ٢٦٠، الكفاية: ١٠٣، النيل: ٢٢٣، تكميل الصلحاء: ٩، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨، أعلام الفكر: ١٠٤، التراجم: ٨/٣ وما بعدها.

٤١ – المعالم: ٢٩/١.

٤٢ – المعالم: ٤/٢٥٩، ٢٦٠، أعلام الفكر: ١٠٤، التراجم: ٨/٣ وما بعدها.

٤٣ – المقصود ببلدة باجة المدينة الموجودة شمال إفريقية في حين كتب محققا الجزء الثاني من المعالم الدكتور الأحمدي أبو النور، ومحمد ماضور عند تعريفهما لمدينة باجة أنها باجة الأندلس، والثابت أنّ ابن ناجي لم يرحل إلى الأندلس، ولم يقم بها. المعالم: ٤٧/٢.

٤٤ – المعالم: ١٦٥/١.

٤٥ – المعالم: ١٩٦/٤، الكفاية: ١٠٢، النيل: ٢٢٣، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨ب، أعلام الفكر: ١٠٤، التراجم: ٨/٣ وما بعدها.

٤٦ – أعلام الفكر: ١٠٤.

٤٧ – المعالم: ٤٧/٢ – ٤٨، التراجم: ١٠/٣ وما بعدها.

٤٨ – المعالم: ٣٢٩/٢.

٤٩ – المعالم: ٢٩٣/١.

٥٠ – الكفاية: ١٠٢، النيل: ٢٢٣، التوشيح: ٢٦٧، الضوء اللامع: ١١/ ١٣٧، الحلل السندسية: ٧٠٧/١، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨، الفكر السامي: ٢٥٦/٢، الأعلام: ١٣/٦.

٥١ – شجرة النور الزكية: ٢٤٤ رقم ٨٧٨.

٥٣ – تحقيق تكميل الصلحاء، المقدمة: ت.

٥٤ – نسب هذا الكتاب في تكميل الصلحاء للدباغ: ن، ونسب لابن ناجي: ر.

٥٥ – شرح الرسالة: ١٤/١.

٥٦ – كتاب العمر: ١٠٢.

٥٧ – المعالم: ١١١/٣.

٥٩ – ببليوغرافية الرسالة للدكتور الفيلالي: ١٢٢، ١٤٠.

٦٠ – المعالم: ١١٩/٤.

٦١ – شرح الرسالة: ٣/١.

٦٢ – المعالم: ٢١١/٤.

٦٣ – المعالم: ١١٩/٣.

٦٤ – المرجع نفسه: ١١٩/٣.

٦٥ – النيل: ٢٢٣.

٦٦ – الكفاية: ١٠٢، تاريخ قضاة القيروان: ٢٨، كتاب العمر: ٧٨٠.

٦٧ – رسالة ابن أبي زيد: الدكتور خليفة بابكر: ٨٢، محاضرة الدكتور الشيباني: ٢١.

٦٨ – كتاب العمر: ٧٨٠.

٦٩ – محاضرة الدكتور الفيلالي: ١٢٢، ١٢٣.

٧٠ – محقق التفريع: ١٠٧/١.

٧١ – المرجع نفسه: ١١٩/١ وما بعدها.

٧٢ – المرجع نفسه: ١/ ١٥٢ – ١٥٧.

٧٣ – أليس الصبح بقريب: ٨١.

٧٤ – محقق التفريع: ١٦٢/١.

٧٥ – شرح التفريع لابن ناجي: ١٣.

٧٦ – المرجع نفسه: ٥٨ ب.

٧٧ – المرجع نفسه: ١٢٣ – ١٢٣ب.

٧٨ – كتاب العمر: ٧٧٩ – ٧٨٠.

٧٩ – تكميل الصلحاء: ٨.

٨٠ – التفريع: ١/١٨٩.

٨١ – شرح التفريع: ١.

٨٢ – المدارك: ٧/٢٥٧.

٨٣ – المعالم: ٣/ ١٤٦ – ١٤٧.

٨٤ – البراذعي والتهذيب: ٤٦ – ٤٧.

٨٥ – المقدمة: ٤٥٠.

٨٦ – تحقيق تكميل الصلحاء، المقدمة: ر، كتاب العمر: ٧٧٨.

٨٧ – كتاب العمر: ٧٧٨ – ٧٧٩.

٨٨ – تراجم خليل لعظوم: ١٢٠، ١٢١.

٨٩ – التوشيح: ٢٦٦، ٢٦٧.

٩٠ – تحقيق تكميل الصلحاء: ر

٩١ – تراجم خليل: ١٢٠ – ١٢١.

٩٢ – التراجم: ٣/٨ وما بعدها، البراذعي وكتابه التهذيب: ٣١٦، ٣١٧.

٩٣ – تراجم خليل: ١٢٠ – ١٢١.

٩٤ – أبو الفضل قاسم عظوم القيرواني: التكميل: ٢٥، ٢٦، شجرة النور الزكية: ٢٩٢ رقم ١١١٧، معجم المؤلفين: ٨/١٢٤، التراجم: ٣/٤٠١، ٤٠٣.

٩٥ – تراجم خليل: ١٦٦.

٩٦ – النيفر: ن. م: ١١٦.

٩٧ – كتاب العمر: ٧٧٨.

٩٨ – البراذعي والتهذيب: ٣١٦، ٣١٧.

٩٩ – شرح التهذيب لابن ناجي: ١.

١٠٠ – المرجع نفسه: ٢٠٢ب.

١٠١ – التهذيب: ٥ب.

١٠٢ – شرح التهذيب: من ٧٠ ب إلى ٧٥ب.

١٠٣ – المعالم: ٣/١١٩.

١٠٤ – كتاب العمر: ٧٨١.

١٠٥ – تكميل الصلحاء: ٩، تحقيق تكميل الصلحاء: ر.

١٠٦ – المعالم: ٣/٦٧.

١٠٧ – المعالم: ٣/٢٤.

١٠٨ – انظر المعالم: ١/ ١٠٧ – ١/١٢٤، ١/١٢٤.

١٠٩ – المعالم: ١/١٣٥.

١١٠ – انظر المعالم: ٢/١١٩، ٣/ ١٠، ١١.

١١١ – المعالم: ٣/١٤٧.

١١٢ – التوشيح: ٢٦٧.

١١٣ – الإمام البرزلي: ١٧٠ وما بعدها.

١١٤ – شرح التهذيب: ١.

١١٥ – المعالم: ٣/٩٠.

١١٦ – المعالم: ٣/١١٩.

١١٧ – الفهرست للرصاع: ١٨٤، ١٨٥.

١١٨ – المعالم: ٣/١٥١.

١١٩ – الكفاية: ١٥٢.

١٢٠ – شرح التفريع: ٧٦ب.

١٢١ – شرح الرسالة: ١/١٤.

١٢٢ – شرح التفريع: ٤١ب.

١٢٣ – المرجع نفسه: ٥٨.

١٢٤ – المرجع نفسه: ٧٦.

١٢٥ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٤.

١٢٦ – راجع مثلاً قسم الغنيمة: شرح التفريع: ٤١ب.

١٢٧ – شرح التفريع: ١٥٩ب.

١٢٨ – المرجع نفسه: ١٤٠.

١٢٩ – ومضات فكر: ٢.٧٣.

١٣٠ – أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٥ بتصرف.

١٣١ – الفهرست: ١٨٤ – ١٨٥.

١٣٢ – شرح التفريع: ١٧.

١٣٣ – المعالم: ١/ ٣٠٧ – ٣٠٨.

١٣٤ – المعالم: ١/٢٤٤.

١٣٥ – المرجع نفسه: ٢/٣٢٥.

١٣٦ – شرح التفريع: ٥٣ب.

١٣٧ – المرجع نفسه: ١٤١.

١٣٨ – المرجع نفسه: ١٤٨.

١٣٩ – المرجع نفسه: ٥٨ب.

١٤٠ – المرجع نفسه: ٧٥ب.

١٤١ – المرجع نفسه: ١٥١ب – ١٥٢.

١٤٢ – المرجع نفسه: ٤٦ب.

١٤٣ – المرجع نفسه: ٥٦ب.

١٤٤ – المرجع نفسه: ١٥٣، المعالم: ٣/١٣٩.

١٤٥ – التفريع: ١/٤٠٦.

١٤٦ – شرح التفريع: ٦٥.

١٤٧ – المعالم: ٣/٢٢.

١٤٨ – شرح التفريع: ٢٠.

١٤٩ – المرجع نفسه: ١٧٣.

١٥٠ – المعالم: ٢٩٥/١.

١٥١ – تحقيق تكميل الصلحاء: ق.

١٥٢ – شرح التفريع: ٥٠.

١٥٣ – المعالم: ٢٧/٤.

١٥٤ – شرح الرسالة: ٣٦٢/١.

١٥٥ – شرح الرسالة: ٣٦٢/١.

المصادر والمراجع

البراذعي : أبو سعيد.

– تهذيب المدونة: مخطوط رقم ٥٩٤٧ بدار الكتب الوطنية.

البوزيدي.

– محمد البشير أبو سعيد البراذعي وكتابه تهذيب المدونة: محاضرات ملتقى القيروان العلمي الثالث: مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ط١، ١٩٩٥.

التنبكتي : أحمد بابا.

– كفاية المحتاج : مخطوط رقم ١٤٢٥٣ بدار الكتب الوطنية.

– نيل الابتهاج بهامش الديباج: السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.

ابن الجلاب : أبو القاسم البصري.

– التفريع: (١ – ٢) تح. الدهماني، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

الجودي : محمد بن محمد.

– تاريخ قضاة القيروان: مخطوط رقم ٨٣٩٧ بدار الكتب الوطنية – تونس.

ابن خلدون : عبد الرحمن.

– المقدمة، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨.

خليفة بابكر الحسن.

– رسالة ابن أبي زيد: أهميتها – انتشارها – أسباب التأليف: ملتقى ابن أبي زيد، ط١، مركز الدراسات الإسلامية، ١٩٩٤.

الدهماني : حسين بن سالم.

– تحقيق وتقدم التفريع، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

الرصاع : أبو عبد الله محمد الأنصاري.

– فهرست الرصاع، تح. محمد العنابي، ط١، المكتبة العتيقة، ١٩٦٧.

الزركشي : أبو عبد الله محمد.

– تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. محمد ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة بتونس، ١٩٦٦.

الزركلي : خير الدين.

– الأعلام (١ – ٦) ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

السخاوي : شمس الدين محمد.

– الضوء اللامع (١ – ١٢)، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

السراج : الوزير محمد.

– الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح. الهيلة: (١ – ٣)، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠.

السنوسي : محمد بن عثمان.

– مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح. الشيخ محمد الشاذلي النيفر (١ – ٤) ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤.

ابن الشماع : أبو عبدالله محمد.

– الأدلة النبيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح. الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤.

الشيباني : محمد.

– رسالة عبدالله بن أبي زيد القيرواني: محاضرات ملتقى ابن أبي زيد، ط١، مركز الدراسات الإسلامية، ١٩٩٤.

ابن أبي الضيافة : أحمد.

– إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (١ – ٨)، ط٣، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٠.

ابن عاشور : محمد الطاهر.

– أليس الصبح بقريب، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٦٧.

ابن عاشور : محمد الفاضل.

– أعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس، دون تاريخ.

– المصطلح الفقهي في المذهب المالكي: ومضات فكر (١ – ٢)، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢.

عبد الوهاب : حسن حسني.

– كتاب العمر والمصنفات والمؤلفين التونسيين: مراجعة وتحقيق محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٠.

العنابي : محمد.

– تحقيق تكميل الصلحاء والأعيان، ط١، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠.

عياض : القاضي.

– ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط وزارة الأوقاف المغربية.

أبو القاسم عيسى بن ناجي ودوره في نشر المذهب المالكي

الفيلالي : حسن الزين.

- رسالة ابن أبي زيد: دراسة بيبليوغرافية لأهمّ شروحها: محاضرات ملتقى ابن أبي زيد، ط١، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ١٩٩٤.

ابن القاضي : أبو العباس أحمد المكناسي.

- درة الحجال في أسماء الرجال، تح. محمد الأحمدي أبو النور: (١ – ٣) المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.

القرافي : بدر الدين.

- توشيح الديبا وحيلة الابتهاج، تح. أحمد الشتيوي، ط١، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

كحالة : عمر رضا.

- معجم المؤلفين: (١ – ١٥) دار إحياء التراث ببيروت، دون تاريخ.

الكناني : محمد بن صالح بن عيسى.

- تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تح. محمد العنابي، ط١، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠.

محفوظ : محمد.

- تراجم المؤلفين التونسيين: (١ – ٥)، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢.

مخلوف : محمد بن محمد.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر العربي، بيروت.

ابن ناجي : أبو القاسم.

- شرح التفريع: مخطوط رقم ٥٨٠٨ بدار الكتب الوطنية – تونس.
- شرح تهذيب المدونة: مخ. ٥٢٣٣ بدار الكتب الوطنية – تونس.
- شرح الرسالة: بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

النيفر : الشيخ محمد الشاذلي.

- البراذعي وتهذيب المدونة: ملتقى القيروان مركز علمي: ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م: مركز الدراسات الإسلامية: ط١، ١٩٩٥.
- تراجم خليل لعظوم والطرق التقريبية للفقه: النشرة العلمية للكلية الزيتونية: س١، ع١: ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

الهيلة : محمد الحبيب.

- الإمام البرزلي: النشرة العلمية للكلية الزيتونية: س١، ع١: ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.